البَابُ الرابِعُ وَالعِشْرُون

نعيم الروح

[النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه ، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو بوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب ، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم] .

قلت : نعيم الروح وعذابها إنما هو بشهود ربها واحتجابها ، وذلك بعد تخلصها من عالم الأشباح ، وترقيها إلى عالم الأرواح ، فيكون حينئذ نعيمها روح الوصال ، وريحان الجمال ، وعذابها احتجابها عن شهود ذلك الجمال ، وبعدها عن الكبير المتعال ، وهذا الأمر حاصل فى دار الدوام لجميع الأنام ، لأنه تميز الحق من الباطل ، وعرف كل واحد مثواه ومستقره ، فأهل الجنان أحسوا بالرضا والرضوان ، فهم عالمون بقرب الحق منهم ورضاه عنهم ، لكنهم متفاوتون فى العلم ؛ فمنهم من يعلم من وراء الرداء ، ومنهم من يعرف داخل الرداء .

وفى البخارى : « وَمَا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وجْهِهِ فى جَنَّةِ عَدْنٍ » .

ولا يفهم هذا الرداء إلا أهل الأذواق . وأما أهل النار فأحسوا بالبعد من الواحد القهار ، فتضاعف عذابهم فى دار البوار .

ولو أن الحق تعالى تجلى لهم بصفة جماله لأنساهم ذلك اليوم عذابه ؛ ولو أنه تعالى احتجب عن أهل الجنة لضاق عليهم فسيح الجنان ، ولانقلب نعيمهم نقمة وعذابا . أما من كان فى دار الدنيا عارفاً فلا يحتجب الحق تعالى عنه ، كما شهده هنا بوسائط أنواره يشهده ثَم بلطائف أسراره ، بل ثم أولى لغلبة المعنى على الحس ، والقدرة على الحكمة . وأما من كان هنا محجوبًا فهو ثم أيضًا محجوب .

قال تعالى :

(وَمَنْ كَانَ فى هٰذِهِ أَعْمٰى فَهُوَ فى الآخِرَةِ أَعْمٰى)[1] .

وللآية تفسيران : ظاهر وباطن ، لكن فى دار البقاء يرق الحجاب لرقة الأبدان ولطافتها ، فلذلك صار نعيمهم لا يكمل إلا بشهود القرب ، فإذا فقدوه تنغص نعيمهم ، لأن فى تلك الدار صار الحكم للأرواح ، وفى هذه الدار الحكم للأشباح ، إلا من ترقى هنا إلى عالم الأرواح فهو من أهل الجنة ، فنعيمه نعيم الأرواح ، وهو روح الوصال وشهود الكمال ، فنعيمه بشهود اقترابه ورضوانه ؛ فلو زال عنهم شهود القرب أو انقطع عنهم مدد الرضوان ، لضاق عليهم فسيح الجنان .

وأما نعيم الأشباح وعذابها : أعنى من كان محجوبًا بها ، فإنما هو لموافقة ما يلائم طبعه أو مخالفته ، فإذا جاء ما يلائمه من صحة وعافية وجمال حسى فهو فى حقه نعيم ، وإذا جاء ما يخالف طبعه من وجع أو فقد أو منع أو فتنة فهو عذاب فى حقه إذ لاحظّ له فى لذة القرب ومرارة البعد ، فإنما حظه من النعيم نعيم البهائم ، نعم لو قدرنا ان العادة تخرق له ويتجلى الحق تعالى له فى حال عذابه الحسى بصفة جماله ، لنسى ذلك العذاب .

والحاصل : أن كلام الشيخ إنما هو فى حق أهل القرب أو الشهود بحيث يجد لذة القرب وحلاوة الشهود ، ويحس بمرارة البعد وضيق الحجاب فى هذه الدار وفى تلك الدار ، هذا ما ظهر لى ، وهذا الذى ذكره الشيخ ، مذوق عند أرباب العشق ، فكم من عاشق ضرب بمحضر محبوبه فلم يحس بألم الضرب ، فلما غاب عنه تضرع واستغاث ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : لما حضر من كنت أضرب من أجله غبت عن ألم الضرب ، فلماغاب عنى وجدت ألمه .

قلت : ولهذا المعنى استلذ العارفون الفاقات ، وأنواع التعرفات ، وضروب البليات لما ذاقوا فى ذلك من إقبال محبوبهم ؛ ورضا مشهودهم .

كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يقول : ألا حبذا المكروهات الثلاث : الفقر والمرض والموت : أى ما أحبهم لى وأعزهم .

وكانت زوجة بلال تصيح عند موته واكرباه فيقول هو : واطرباه ، غدا ألقى

---

(١) الإسراء : ٧٢ .

الأحبه ، محمداً وحزبه .

ولما ضرب عامر بن فهيرة بالرمح ونفذ من ظهره إلى صدره ، قال فزت ورب الكعبة .

وكان بعض الأولياء مجذوماً وهو يدعو للمرضى فيبرءون من حينهم ، فقيل له لو دعوت الله أن يخفف عنك ، فقال : رأيت رب العزة فى النوم ، وهو يقول لى : أتريد أن أبتليك ببلية أرفع لك بها أعلى الدرجات ؟ قلت : نعم ، فأصبح مجذومًا .

فانظر هؤلاء السادات لما عرجوا من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح ، لم يبق لهم نعيم ولا عذاب إلا نعيم الأرواح أو عذابها ، وأما عذاب الأشباح فقد غابوا عنه ، فكان نعيم هؤلاء وقوت أرواحهم هو ذكر ربهم وشهود نوره أو اقترابه ، حتى صار لهم غذاء لا بقاء لهم إلا به ، ولا غنى لهم عنه ، ولو فقدوه لفارقت أرواحهم أشباحهم ، وفى ذلك قيل :

بِالْقُوتِ إِحْيَاءُ الْجُسُومِ وَذِكْرُهُ ... تَحْيَا بِهِ الْأَلْبَابُ وَالْأَرْوَاحُ
هُوَ عَيْشُهُمْ وَوُجُودُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ ... حَقًّا وَرُوحُ نُفُوسِهِمْ وَالرَّاحُ

وقد قلت فى قصيدة لى عينية :

وَلِى لَوْعَةٌ بِالرَّاحِ إِذْ فِيهِ رَاحَتِى ... وَرَوْحِى وَرَيْحَانِى وَخَيْرٌ وَاسِعُ
سَكِرْنَا فَهِمْنَا فى بَهَاءِ جَمَالِهِ ... فَغِبْنَا عَنِ الْإِحْسَاسِ وَالنُّورُ سَاطِعُ
تَبَدَّتْ لَنَا شَمْسُ النَّهَارِ وَأَشْرَقَتْ ... فَلَمْ يَبْقَ ضَوْءُ النَّجْمِ وَالشَّمسُ طَالِعُ

الحاصل : أن نعيم الأرواح التى تشاهد محبوبها لا ينقطع عنها ، فنعيم العارفين لا ينقطع لأن قرب الحق لا ينقطع ، فمن بعدت نفسه أحس بالعذاب ولزمه الهموم والأحزان والنصب ، كما أبان ذلك بقوله :

[ما تجده القلوب من الهموم والأحزان ، فلأجل ما مُنِعتْه من وجود العيان] .

قلت : إنما كان سبب الهموم هو فقد الشهود ، لأن الحق تعالى قريب على

الدوام ، رقيب على الدوام ، فمن كان قريباً من الحبيب ، فكيف يحس بفراق شيء أو فواته ؟ نظر الحبيب يغيب عن كل بعيد وقريب ؛ وأيضاً كل ما ينزل من عند الحبيب فهو حبيب فلا يلحقه شيء مكروه عنده حتى يهتم به ، ولا يفوته محبوب سوى محبوبه حتى يحزن عليه ، ففى محبوبه اجتمعت المحاسن

كما قال القائل :

تَذَلَّلْ لَهُ تَحْظَى بِرُؤْيَا جَمالِهِ فَفِى وَجْهِ مَنْ تَهْوَى الْفَرَائِضُ وَالنَّفْلُ

وفى هذا المعنى أيضاً قال صاحب العينية :

تَلَذُّ لِيَ الآلَامُ إِذْ كُنْتَ مُسْقِمِى وَإِنْ تَخْتَبِرْنِي فَهْوَ عِنْدِى صَنَائِعُ

وبالجملة من كان نظره إلى محبوبه ومشاهداً لنوره وجماله لم يبق له همٌّ ولا غمٌّ كما قال ابن الفارض فى شهود الخمرة :

فَمَا سَكَنَتْ وَالْهَمُّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذٰلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّغَمِ الْغَمُّ

وقال أيضاً :

وَلَوْ خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ الْهَمُّ

ومما أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود لا تمزج هم غيرى بقلبك ، فتنقص منه حلاوة الروحانيين ، يا داود أنا مصباح قلوب الروحانيين ، ومن كنت مصباح قلبه لم يغتم أبداً . يا داود إنما مرادى من خلقى أن يكونوا روحانيين ا هـ .

وبالجملة من كان عبداً لله غائباً عما سواه لم يبق له شيء من الهم ، لأنه قد حصلت له المعية التى توجب النصر والظفر بكل ما يريد ، ألا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)[1] .

حين أحدق به المشركون ، فكان عليه الصلاة والسلام فى محل الغيان فلم يهمه شيء ولم تقرب من ساحته الأحزان . وكان أبو بكر فى ذلك الوقت موقناً

---

(١) التوبة : ٤٠ .

غير مشاهد ، فدله عليه الصلاة والسلام على مقام الكمال ، لأن الشهود فوق الإيقان ، وأنشدوا :

كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنْ الْعِيَانِ تَوَهمَا

ومن جملة ما وقع من الاهتمام به لمن لم يكمل يقينه أمر الرزق وخوف الخلق ، حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : من ضمنها لى ضمنت له الولاية ، أشار الشيخ إلى الأول بقوله :

[**من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنعك ما يطغيك**] .

قلت : من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همته إليه ، ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائناً ما كان ، فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو الغنى بالله ، إذ لا نعمة أعظم من الغنى بالله ، والغيبة عما سواه ، ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه ، فإذا رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك أكلا ولباساً ومسكناً ، ولقيام روحانيتك علماً وعملا وذوقاً ومعرفة ، ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك ، فقد أتم نعمته عليك ، فاشكره على ما أسدى إليك ، وتوجه إليه وحده فيما تعذّر عليك ، وادفع ما يشغل قلبك من النهوض إليه : (إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)[1] ، (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[2] .

وقد استعاذ عليه الصلاة والسلام مما يشغل القلب وينسى الرب فقراً أو غنى ، فكان يتعوذ من الفقر المنسى ، والغنى المطغى ، وقال :

« اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ محمَّدٍ قُوتاً » وقال عليه الصلاة والسلام : « خَيْرُ الذِّكْرِ : الْخَفِيِّ » أى فى القلب وهو الفكرة « وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِى » وقال عليه الصلاة والسلام : « مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ إلا وَبجَنَاحَيْهَا مَلَكانِ يُسْمِعَانِ الْخلاَئِقَ غَيْرَ الثقَلَيْنِ : أَيهَا النَّاسُ هَلُموا إِلَى رَبِّكُمْ ، مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلهى » وقالَ عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ الْغِنَى

---

(١) الحج : ٣٨ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

بِكَثْرَةِ الْعَرَضِ ، إنما الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » وفى ذلك قيل :

غِنَى النَّفْسِ مَايَكْفِيكَ عَنْ سَدِّ خَلَّةٍ فَإِنْ زِدْتَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقْرًا

وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه : سمعت أن جارية مجنونة فى خراب الأيلة تنطق بالحكم ، فكنت أطلبها حتى وجدتها وهى محلوقة الرأس وعليها جبة صوف ، فلما رأتنى قالت : مرحباً بك يا عبد الواحد ، فعجبت من معرفتها لى ولم ترنى ، فقلت لها : رحب الله بك ، ثم قالت : ما جاء بك ؟ قلت تعظينى ، قالت : واعجباً لواعظ يوعظ ، يا عبد الواحد . اعلم أن العبد إذا كان فى كفاية ومالَ إلى شىء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد وظل حيران ولهًا ، فإن كان له عند الله نصيب عاقبه وحيًا فى سره فيقول له : عبدى أردت رفع قدرك عند ملائكتى ، وأجعلك دليلا لأوليائى ، ومرشدًا لأهل طاعتى فملت إلى عرض الدنيا وتركتنى ، فأورثك ذلك الوحشة بعد الأنس ؛ والذل بعد العز ، والفقر بعد الغنى ، ارجع إلى ما كنت عليه ارجع إلى ما كنت تعرفه من نفسك ، ثم انصرفت عنى وتركتنى ، وبقيت حسرتها فى قلبى .

وفى بعض الكتب المنزلة : إن أهون ما أصنع بالعالِم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتى ا هـ .

دوام الفرح

وإنما كانت الكفاية نعمة ، والزيادة عليها نقمة ، كما قال الشيخ ، لأن النفوس مجبولة على حب العطاء وكراهية الفقد ، فإذا أعطاها فرحت ، وإذا أزال عنها حزنت ، فمن أراد أن يدوم فرحه فلا يأخذ فوق كفايته ما يحزن على فقده ، كما أبان ذلك بقوله :

[**ليقلّ ما تفرح به ويقل ما تحزن عليه**] .

قلت : فإذا أردت أن يدوم سرورك فلا تملك شيئًا تحزن على فقده ، لأن حزنك على فقده دليل مَحبتك له ، فإذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك ، فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه .

قيل لبعضهم : لم لا تغتم ؟ قال : لأنى لا أقتنى ما يغمنى ، وفى ذلك قيل :

وَمَنْ سَرَّهُ ألا يَرَى مَا يَسُوءُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
فَإِنَّ صَلَاحَ المَرْءِ يَرْجِعُ كُلُّهُ فَسَادًا إِذَا الإِنْسَانُ جَازَ بِهِ الْحَدَّا

يحكى أنه رفع لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظيراً ، ففرح به الملك فرحًا شديدًا ، فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ فقال : أراه مصيبة وفقراً ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال : إن انكسر كان مصيبة لا صبر لها ، وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله ؛ وقد كنت قبل أن يحمل إليك فى أمن من المصيبة والفقر ، فاتفق انكسار القدح فعظمت مصيبة الملك به ، فقال : صدق الحكيم ، ليته لم يحمل إلينا ا هـ .

وهنا ميزان آخر أحسن من هذا . وهو أنك إذا أطلقت من نفسك ، وجعلتها غرضًا لسهام أقدار ربك ، لا تعارضه فيما يفعل بك ، لا شك أنك تستريح ويدوم فرحك ، لأنك حينئذ منتظر ما يبرز من عند الحبيب ، فتتلقاه بالرضا والترحيب ، وهذه حلاوة برد الرضا والتسليم ؛ فإن صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم المقيم ؛ وهذه هى الولاية الكبرى ؛ من تقلدها لا يعزل عنها أبداً كما أشار إلى ذلك بقوله :

[إن أردت ألا تُعزَل فلا تتول ولاية لا تدوم لك] .

قلت : الولاية التى لا تدوم هى الولاية التى تأتى من جهة الفرق ، وهى ولاية الخلق كخطة السلطنة والقضاء والقيادة ، وغير ذلك من الخطط التى قلدها الله بعض عباده ، ويدخل فيها أيضاً ولاية المال إذا كان يعظم من أجله ، أو النسب إذا كان خالياً عن التقوى ، أو العلم إذا كان خالياً عن العمل ، وغير ذلك من رياسة الدنيا ، فإنها تفنى وتنقطع ، ويعقبها ذل وفقر ؛ والولاية التى تدوم هى الولاية التى تأتى من جهة الجمع ، وهى العز بالله ، والغنى به ، والمعرفة له ، والغيبة عما سواه ، فلا شك أن هذه ولاية لا تنقطع ، وشرف لا ينفد ، وعز لا يبيد .

يحكى أن سيدى عبد الله بن المبارك وكان من تابع التابعين ، ومن العلماء العاملين الزاهدين قدم على هارون الرشيد ، فلما دخل العسكر انكب عليه

العسكر لزيارته ، فوقع من الازدحام ضجة كبيرة ، حتى تقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد هارون من قصر الخشب ، فلما رأت كثرة الناس وازدحامهم ، قالت : ما هذا ؟ قالوا لها : هذا عالم خراسان ؛ فقالت : هذا والله هو الملك والعز ، لا ملك هارون الذى يجمع الناس بالسوط والعصىِّ .

وأيضًا الولاية التى تدوم تنسحب عليه وعلى ذريته ، ثم تدوم فيهم على قدر جاهه عند الله ، وعظيم ولايته ، فكل من عظمت ولايته دامت على أولاده وأتباعه بقدر تلك الولاية ، وهو معنى قوله تعالى على بعض التفاسير :

(وَلْيَخْشَ الذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ)[1]

الآية . أى وليخش الذين خافوا على أولادهم فإن الله يحفظه فيهم . وقيل فى قوله تعالى : (وَكانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً)[2] . .

إنه كان جدهم السابع ، فحفظ الله كنز اليتامى ببركة صلاح الجد ، والله تعالى أعلم .

وأما إن توليت الولاية التى لا تدوم ، فكن فيها على حذر ولا تغتر بحلاوة بدايتها . فإن نهايتها مرارة ، كما أبان ذلك بقوله :

[إن رغّبتك البدايات زهّدتْك النهايات] .

قلت : الولاية التى لا تدوم كعز بمال أو جاه أو عشيرة ، أو غير ذلك من عز الدنيا أولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها ، وآخرها مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ، ولما يعقبه من الذل والهوان ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « نِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ » .

فإن رغّبتك فى هذه الولاية التى تفنى حلاوة بدايتها زهّدتك فيها مرارة نهايتها ، فإن غرتك بظاهر بهجتها ، فاعتبر بباطن حسرتها ، إن رغبتك فيها حلاوة إقبالها ، زهدتك فيها مرارة إدبارها .

قال الشيخ أبو على الثقفى رضى الله عنه : أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسرتها إذا أدبرت . والعاقل لا يركن إلى شىء إذا أقبل كان فتنة ،

---

(١) النساء : ٩ .

(٢) الكهف : ٨٢ .

وإذا أدبر كان حسرة ، وأنشدوا فى ذلك :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدنْيَا لِشَىْءٍ يَسُرهُ فَسَوْفَ لَعَمْرِى عَنْ قَرِيبٍ يَلومُهَا
إِذَا أَدْبَرَتْ كانَتْ عَلَى المرءِ حَسْرَةً وَإِنْ أَقْبَلَت كَانَتْ كَثِيراً هُمُومُها

وكتب على كرم الله وجهه إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه : « مثل الدنيا كمثل الحية ، ليّن لمسُها قاتل سمُّها ؛ فأعرض عن كل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، ودع عنك همومك لما تيقنت من فراقها ، وكن أسرّ ما تكون فيها أحزن ما تكون منها ، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن إلى سرورها أشخص إلى مكروهها » . وقيل الدنيا أحلام منام ، وسرورها ظل غمام ، أحداثها سهام . وفتنتها طوام : أى أمواج ، وسَمَها الله بالوحشة ، وقرنها بالفجائع والدهشة ، ثم أوحى لها : يا دنيا تشددى على أوليائى ، وتوسعى على أعدائى ؛ فمن نظر الدنيا بعين الإنصاف ، كفاه منها أقل الأوصاف ، إذ ليس فيها شىء محمود إلا وقابله شىء مذموم ، كالمال بالانصراف والذهاب ، والشباب بالهرم ، والصحة بالسقم ، والفرح بالحزن ، والعز بالذل ، والحياة بالموت .

قلت : حكى عن الولى الصالح سيدى قاسم بن صبيح ، من قبيلة بنى سعيد ، أنه قصد إذايته بعض الحكام ففر إلى سيدى الغزالى بترغة ، فجلس عند ضريحه مشتكياً بلسان حاله ، فمد له مَن القبر بعود الريحان كاغداً مكتوباً لم يجف مداده فيه هذان البيتان :

إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَهَيِّئْ لَهُ صَبْرًا وَوَسِّع لَهُ صَدْرا
لِأَنَّ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ فَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا

تشبيه الدنيا

فمن وقف مع ظاهر الدنيا نادته هواتف باطنها : إنما نحن غرة فلاتغتر ، وهذا معنى قوله :

[إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن] .

قلت : ظاهرها خضرة حلوة، وباطنها خبيثة مرة . قال عليه الصلاة والسلام : « الدنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ حَبَطاً » الحديث .

فأخبر عليه الصلاة والسلام أن ظاهر الدنيا خضرة حلوة وباطنها سم قاتل .

وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة أشياء : شبهها بالماء المالح يغرق ولا يروى ، ويضر ولا ينفع . قلت : وكذلك الدنيا تغرق صاحبها فى حبها ويموت عطشان منها .

وشبهها بظل الغمام يغر ويخذل . قلت : وهو الذى يغطى بعض المواضع ، فإذا أشرقت الشمس تقشع عنه .

وشبهها بالبرق الخاطف يعنى فى سرعة الذهاب والاضطراب ، وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع ، وبزهر الربيع يغر بزهرته ثم يصفر فتراه هشيماً ، وبأحلام النائم يرى السرور فى منامه ، فإذا استيقظ لم يجد فى يده شيئاً إلا الحسرة ، وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل ا هـ .

قال حفيده : فتأملت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفاً واحداً ، فشبهتها بالغول التى تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها ا هـ نقلها ابن عباد رضى الله عنه ، فانظره .

ثم علل كون الدنيا محلا لهذه الأكدار والأغيار فقال :

[**إنما جعلها محلا للأغيار ، ومعدناً لوجود الأكدار ، تزهيداً لك فيها**] .

قلت : إنما وسم الله الدنيا بهذه الأوصاف ، من كونها محلا للأغيار والأحزان ، ومعدناً لوجود الأكدار والفتن ، تزهداً لك فيها ، فتقبل بكليتك عليه ، وتتوجه بهمتك إليه ، أو لتعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة .

قال بعضهم : إنما مثل الدنيا كالبحر الهائل المحيط والآخرة من وراء ذلك البحر ، ولا ينكشف الحجاب عن عين القلب بالنظر إلى الدار الآخرة إلا بعد الجواز على ذلك البحر فى سفن الصبر والرضا ، لأنه بحر لجىّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، يغشاه موج الشهوات ، من فوقه موج الغفلات ، من فوقه سحاب الكائنات .

وأيضًا لو بسطت لك الدنيا لكرهت لقاء الله فيكره الله لقاءك ، ولو بسطت لك العوافى والنعم لركنت الروحُ إلى هذا العالم فتبقى دائماً فى عالم الأشباح ، والمقصود منك هو الرحيل إلى عالم الأرواح ، فضيّق الحق تعالى عليك هذا العالم السفلى لترحل منه بهمتك إلى العالم العلوى ، فهو منه سبحانه إنعام وإحسان ، لكنها فى قالب الامتحان ، فلا يذوقها إلا أولو البصائر الحسان ، فهذا ما أشار إليه بقوله :

[علم أنك لا تقبل النصح لمجرد القول ، فذوّقك من ذوقها ما سهل عليك فراقها] .

قلت : قد علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقبل النصح بمجرد القول ، فلا يزهد فى الدنيا بمجرد سماع الوعظ ، إذ كثير من أهل العلم والفهم يسمعون القرآن يقرعهم عليها ، ويحذرهم من غرورها ، وهم غائبون عن ذلك التذكير ، مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير ، فلما أراد سبحانه أن يصطفى لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم ، وشدد عليهم البلاء والمحن ، وأجرى على ظاهرهم مواقع الفتن ، كل ذلك عناية بهم ، ليذوقوا مرارة باطنها ، فلا يغتروا بحلاوة زخرف ظاهرها .

سئل عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الّذِينَ لَا خَوْفٌ عَليهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ؟ قَالَ : الذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدنْيَا حَينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَاهْتَمُّوا بِآجِلِهَا حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا » الحديث .

وقد تقدم عند قوله : الأكوان ظاهرها غرة ، وباطنها عبرة ، فكل ما ينزل بالولى من هذه التعرفات الجلالية التى تغير النفس وتقهرها فهو خير كثير فى حقه ، فقد قالوا : الامتحان بقدر الإمكان ، وكل محنة تزيد مكنة ، واختبار الباقى يقطع التباقى ، فقد تبقى فى القلب بقية من حب شىء من هذا العالم ، أو ركون لشىء من الدنيا ، فيسلط عليه من يشوشه عليه وينغصه لديه ، كل ذلك عناية به ليرحل من هذا العالم إلى عالم الملكوت ؛ فإذا تحقق رحيله استوى عنده الحلو والمر ، والعز والذل ، والغنى والفقر ، لأنه تحقق أن كلا من عند الله

وما فى الوجود سواه ، وهذا هو العلم الحقيقى الذى هو العلم النافع ، وإليه أشار بقوله :

العلم النافع

[العلم النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه ، وينكشف به عن القلب قناعه] .

قلت : العلم النافع هو علم القلوب ، ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل .

أو تقول : مرجعه إلى التخلية والتحلية ، فيبحث أولا عن عيوب النفس ، وعيوب القلب ، وعيوب الروح ، وعيوب السر ، فيطهر كل واحد من عيوبه .

فإذا تطهر من الجميع تحلى بصفات الكمال ، كالإيمان والإيقان والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة ، وتحلى أيضاً بالحلم والرأفة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة .

فشعاع العلم الذى ينبسط فى الصدر : هو ثلج اليقين ، وبرد الرضا والتسليم ، وحلاوة الإيمان ، ومواجيد العرفان ؟ وينشأ عن ذلك : مخافة الله وهيبته ، والحياء منه ، والسكون والطمأنينة ، وغير ذلك مما تقدم من الأخلاق الحسنة .

والقناع الذى ينكشف به عن القلب : هو الغفلة . وسبب الغفلة هو الرضا عن النفس ، وسبب الرضا عن النفس هو حب الدنيا الذى هو أصل كل خطيئة ، فمن حب الدنيا ينشأ الحسد والكبر ، والحقد والغضب ، والشح والبخل ، وحب الرياسة ، والقساوة والفظاظة ، والقلق ، وغير ذلك من العيوب .

فإذا انكشفت هذه الأمور عن القلب انبسط فيه شعاع العلم ، الذى هو ثلج اليقين ، وبرد الرضا ، وما تقدم ذكره ، لأن العلم بالله نور فى القلب ، وينبعث منه شعاع ينبسط فى الصدر فيكسبه الزهد فى الدنيا ، فإذا زهد فى الدنيا اتسع صدره باليقين والرضا والتسليم وغير ذلك من المحاسن ، فكشف القناع مقدم

على بسط الشعاع ، فلو قدّمه لكان أولى لأن التخلية مقدمة على التحلية ، فلو قال هو الذى ينكشف به عن القلب قناعه ، وينبسط فى الصدر شعاعه لكان أحسن . ويحتمل أن يريد بانبساط الشعاع فى الصدر نور الإسلام والإيمان وهى أنوار التوجه ، وبكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس وظلمة الكون ، فتبدو أنوار المواجهة ، وهى أنوار الإحسان ، وأسرار العرفان . وعلى هذا يكون ترتيب كلام الشيخ حسناً ، والله تعالى أعلم .

والحاصل : أن العلم الذى يوجب الخشية هو العلم النافع وغيره ليس بنافع ، وإليه أشار بقوله :

[**خير علم ما كانت الخشية معه**] .

فإن لم تكن خشية فلا خير فيه ، لأنه حجة على صاحبه ، وإليه أشار بقوله :

[**العلم إن قارنته الخشية فلك ، وإلا عليك**] .

قلت : لأن العلم الذى تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها ، ويزهده فى كل ما يشغل عن العمل به ، ويرغبه فى كل ما يقربه إلى ربه فيكون عوناً له على الوصول إلى معرفة الله ، والقرب من ساحة رضاه ، فإن لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه ، لأنه حينئذ حجة عليه ، لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال :

« وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً ، وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ عَشْرَ مَرَّاتٍ » ذكره الغزالى .

ومثله قول الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه فى حزبه الكبير : فالويل لمن لم يعرفك ، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك .

فإن قلت : قد ورد فى بعض الأحاديث أن يغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنبًا واحداً .

قلت : قد يجاب بأن الحديث الأول ورد فيمن مات مصرًّا من العالم والجاهل ، فإن عذاب العالم أكثر ، لأنه قد ورد أنه يجر قصبه فى النار ويدور فى رحى بجهنم ، بخلاف الجاهل لم يرد فيه هذا . والحديث الثانى فيمن تحققت

توبته منهما ، فإن العالم بيده مصباح العلم يستدرك به ما فات أكثر من الجاهل إذا تاب ، فقد يجبر العالم من الخلل فى شهر مالا يجبره الجاهل فى سنة أو أكثر .

والحاصل : أن الأول فى العالم والجاهل إذا ماتا مصرين . والثانى فيهما إذا تابا وأصلحا ، والله تعالى أعلم .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : العلم كالدنانير والدراهم ، إن شاء الله نفعك بها ، وإن شاء ضرك بها .

وقال فى لطائف المنن : فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله تعالى من عباده الخشية لله ، وشاهد الخشية موافقة الأمر . أما علم من تكون معه الرغبة فى الدنيا ، والتملق لأربابها ، وصرف الهمة لاكتسابها ، والجمع والادخار ، والمباهاة والاستكبار ، وطول الأمل ونسيان الآخرة ، فما أبعد من هذا علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهل ينتقل الشىء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التى كان بها عند الموروث ؟ ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضىء على غيرها وهى تحرق نفسها ، جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه ، وسببًا فى تكثير العقوبة لديه ا هـ .

قال الشيخ زروق رضي الله عنه : وفيه إشعار بأن العالم غير المتقى ليس بوارث . وفيه نظر ، لأن إفساد الموروث والعمل به فى غير حق لا يخرج عن كون الوارث وارثاً ، والعقوق لا ينفى النسب ، لكن يقال فيه وارث سوء ، وقد أثبت الله العلم لمن يخشاه وما نفاه عمن لم يخشه ا هـ .

قلت : وقد يقال الموروث عن الأنبياء هو غاية العلم وثمرته ، وهى الخشية والمعرفة به لا مجرد الرسوم ، لأن ذلك واسطة ، فإذا لم يحصل الموسوط فلا عبرة بالواسطة ، فإذاً لا وراثة لعالم الرسوم ، إذ ليست مقصودة بالذات .

وقد كان الشيخ الولى الكبير ابن أبى جمرة يقول فى علماء وقته : إنما هم معلمون ، يعنى أنهم محترفون بحرفة العلم ، فهم صناع وليسوا بعلماء ، والله تعالى أعلم .

وقد أشبع الشيخ ابن عباد الكلام فى هذا الموضع ، فليطالعه من أراد تخليص نفسه من حجة العلم ، وبالله تعالى التوفيق .

ومن علامة العلم النافع ، القناعة بعلم الله ، والاكتفاء بنظره . وثمرة القناعة عدم المبالاة بذم الناس ومدحهم ، وإقبالهم وإدبارهم ، اكتفاء بعلم الله ونظره ، كما أبان ذلك بقوله :

[متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم] .

قلت : إذا سلط الله عليك خلقه ليختبرك هل أنت غنى به أو بخلقه ؟ فأدبروا عنك أو اشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجعت من ذلك ؛ فارجع إلى علم الله فيك واطلاعه عليك إذ لا يخفى عليه شيء من أمرك ، فإن كفاك ذلك وقنعت به وأنست بذكره أو شهوده استوى عندك ذمهم ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم ، بل ربما آثرت إدبارهم ، إذ فيه راحتك وتفريغ قلبك مع ربك ، فإن لم تقنع بعلم الله ولم تكتف بنظره ، وتأسفت على إدبارهم أو تألمت من أذاهم ، فمصيبتك بضعف إيمانك وذهاب يقينك ، أشد من مصيبة ذم الناس وإدبارهم عنك ، لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه ، وسقوطك من عين محبته .

وأما إذاية الخلق وبعدهم عنك فرحمة بك . وأيضًا إذا اشتغل الناس بذمك وإضرارك فانظر أنت مقامك مع ربك ، فإن كنت مع ربك صافيًا فلا يكيدك شيء ولا يضرك شيء كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه :

النَّاسُ قَالُوا لِي بِدْعِيٌّ وَأَنَا طَرِيقِي مَنْجُورَا
إِذَا صَفَيْتُ مَعَ رَبِّي الْعَبْدُ مَا مِنْهُ ضَرُورَا

وقال إبراهيم التيمى رضى الله عنه لبعض أصحابه : ما يقول الناس فىَّ ؟ قال : يقولون إنك مراءٍ ، قال الآن طاب العيش . قال بشر الحافى حين بلغه كلام التيمي : اكتفى والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره .

وقال أيضاً : سكون القلب إلى قبول المدح لها أشد فيها من المعاصى .

وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه : من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به فقد أشرك مع الله فى عبادته ، لأن من عمل على المحبة لا يحب أن يرى عمله غير محبوبه .

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: لا تنشر علمك ليصدقك الناس ، وانشر علمك ليصدقك الله ، وإن كان لام العلة موجودًا ، فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك ، خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك ، ولعلة تردك إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله ، فلأجل ذلك لم يعملوا بالثواب ، إذ لا يخاف ولا يرجى إلا من قبل الله ، وكفى بالله صادقا ومصدقا ، وكفى بالله عالماً ومعلمًا ، وكفى بالله هادياً ونصيرًا ووليًّا ، هاديًا يهديك ويهدى بك ويهدى إليك ، ونصيراً ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ، ووليًّا يواليك ويوالى بك ولا يوالى عليك ا هـ .

ثم ذكر حكمة وجود الأذى من الخلق لأولياء الله فقال :

[إنما أجرى الأذى عليهم كى لا تكون ساكناً إليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء] .

قلت : الروح إذا ركنت إلى هذا العالم السفلى وسكنت فيه وأحبت ما فيه ، تعذر نقلها إلى عالم الملكوت الذى هو العالم الروحانى ، لما ألفته من حب الأهل والأولاد والأصحاب والعشائر ، فمن حكمة الله تعالى ولطفه وإبراره بوليه أن يحرك عليه ما ركنت إليه نفسه وألفته روحه الأحب فالأحب ، فأول من ينكره أهله وأولاده ، ثم جيرانه وأحبابه ، ثم ينكره العالم بأسره ، فإذا رأت الروح أن هذا العالم أنكرها وضاق عليها رحلت إلى مولاها ، ولم يبق لها تشوف إلى هذا العالم أصلا ، فحينئذ يكمل وصلها ويتحقق فناؤها وبقاؤها ، فلو بقيت النفس على ما هى عليه من السكون تحت ظل الجاه والعز ما رحلت من هذا العالم أصلا ، وكلما قوى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند المولى ، فإنما أجرى الحق سبحانه الأذى على أيدى الخلق إليك ، إذ هو المجرى والمنشئ ، فلا فاعل غيره ، كى لا تكون ساكناً بقلبك وروحك إليهم ، فيعوقك ذلك عن العروج إلى الملكوت .

أراد الحق تعالى أن يزعجك عن كل شيء من هذا العالم حتى لا تركن إلى شيء ولا يشغلك عن شهوده شيء ؛ إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه ، أو تحبه وتحب معه سواه . أبت المحبة أن تشهد غير محبوبها ، فإذا تمكنت المحبة

وكمل الشهود ردهم إن شاء إلى عباده ، مرشدين إليهم بالله .

قال فى لطائف المنن : اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم فى بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ، ليتطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا ، وكى لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد ، أو يميلوا إليهم باستناد ، ومن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه ، ومن أحسن إليك فقد استرقك وجود امتنانه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَادْعُوا لَهُ » .

كل ذلك ليتخلص القلب من رق إحسان الخلق ، ويتعلق بالملك الحق . ثم قال : وقال الشيخ أبو الحسن : اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم ، فإن خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ، ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ، ولعدو تصل به إلى الله خير من حبيب يقطعك عن الله ، وعدّ إقبالهم عليك ليلا وإدبارهم عنك نهارًا ، ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا . قال : وتسليط الخلق على أولياء الله فى مبدإ طريقهم سنة الله فى أحبائه وأصفيائه .

قال الشيخ أبو الحسن فى حزبه : اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ، ثم قال : ومما يدلك على أن هذه سنة الله فى أحبائه وأصفيائه قوله تعالى :

(وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ)[1] الآية .

وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى ا هـ .

وقال بعض العارفين : ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الإقامة فى موطن العز والرفعة ، فلو تركها الحق سبحانه لهلكت فأزعجها عن ذلك بما سلط عليها من أذى المؤذين ومعارضة الجاحدين ، وفى هذا المعنى قيل :

عِدَاتِي لَهُم فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ ... فَلَا أَبْعَدَ الرَّحْمٰنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا

فَهُمْ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا ... وَهُمْ نَافَسُونِي فَارْتَكَبْتُ المَعَالِيَا

---

(١) البقرة : ٢١٤ .

وقال بعضهم : النصيحة من العدو سوط من الله يرد به القلوب إذا سكنت إلى غيره ، وإلا رقد القلب فى ظل العز والجاه ، وهو حجاب عن الله تعالى عظيم .

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : آذانى إنسان مرة فضقت ذرعا بذلك ، فنمت فرأيت يقال لى : من علامة الصدِّيقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم ا هـ .

إذا تقرر هذا علمت أن إذاية الخلق للولىّ سنة ماضية ، يعنى سنة أنبياء الله ورسله . (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)[1] .

وانظر أحوال نبينا عليه الصلاة والسلام ما رأى مع قريش وبنى وائل ، مكث معهم بعد النبوة التى هى محل الأذى من الخلق ثلاث عشرة سنة كلها جلاد وشدة وبلاء ، وحين انتقل إلى المدينة ، لم تكن له راحة ، بين جهاد وتعليم ومعاناة أحبار يهود ، بالإذاية والتشغيب ، حتى لقى الله صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم . وكذلك أصحابه معه وبعده لم تكن لهم راحة ، وجلهم ماتوا مقتولين . فقد مات الصديق مسمومًا . ومات الفاروق مقتولا ، وعثمان مذبوحاً ، وسيدنا علىّ مضروباً بالسيف مسماً ، حتى مات الحسن مسموماً والحسين مقتولا حتى لعبوا برأسه بالشام ، ثم دفن بمصر ، فداه بعض الملوك ودفنه بمصر ، وهو مزارة الحسين المشهورة عندهم ، ثم ما لا يحصى . وقد سُعِىَ بالجنيد وأصحابه للسلطان وأتى بهم للسيف ثم لطف الله بهم .

محنة الصوفية

وقصتهم أن فقهاء بغداد قالوا للمتوكل : إن الجنيد قد تزندق هو وأصحابه ، فقال لهم الخليفة وكان يميل إلى الجنيد : يا أعداء الله ما أردتم إلا أن تفنوا أولياء الله من الأرض واحداً بعد واحد ، قتلتم الحلاج وأنتم ترون له كل يوم عبارة ولا تزدجرون ، وهذا الجنيد لا سبيل لكم إليه حتى تغلبوه بالحجة ، فاجمعوا له

---

(١) فاطر : ٤٣ .

الفقهاء واعملوا له مجلسًا ، فإن أنتم غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته ، وإن هو غلبكم والله لأمشينّ عليكم بالسيف حتى لا نبقى منكم أحداً على الأرض ، قالوا : نعم ، فجمعوا له الفقهاء من الشام واليمن والعراق والأمصار ، فلما اجتمع الفقهاء فى ذلك حتى لم يبق فى الجوانب الأربع من يعرف مسألة فى دينه إلا حضر ، فلما اجتمع الفقهاء فى المجلس بعث الخليفة إليه فأتى هو وأصحابه إلى باب القصر ، فدخل الجنيد وترك أصحابه وأدى حق الخليفة يعنى من التعظيم وقعد ، فقام إليه أحد الفقهاء يسأله فى مسألة ، فسمعه القاضى على بن أبى ثور ، فقال لهم : تسألون الجنيد ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم : أفيكم من هو أفقه منه ؟ فقالوا : لا ، فقال : يا عجبًا هو أفقه منكم فى علمكم ، وقد تفقه فى علم تنكرونه عليه ، يعنى ولا تعرفونه ، فكيف تسألون رجلاً لا تدرون ما يقول ؟ فبهت القوم وسكتوا زماناً ، ثم قالوا : ما العمل يا قاضى المسلمين ؟ فأشر بما شئت فنصنع ، فأمرك مطاع . قال فرد القاضى وجهه إلى الأمير وقال له : اترك الجنيد وأخرج إلى أصحابه صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادى فيهم : من يقوم إلى السيف ، فأول من يقوم إليه نسأله ، فقال الخليفة : يرحمك الله لم ذلك ؟ تروّع القوم ولم تظهر لكم حجة ؟ لا يحل لنا ذلك ، فقال القاضى : يا أمير المؤمنين إن الصوفية يحبون الإيثار على أنفسهم حتى بأنفسهم ، فائذن من ينادى أيكم يقوم للسيف ؟ فالرجل الذى يقوم مبادراً إلى السيف هو أكثر الناس جهلا وأكثرهم صدقاً لله عز وجل ، فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده ، فإذا قدم أجهلهم علينا جعل الفقهاء يناظرونه فيما يطلبونه منه ، فإن الفقهاء لا يغلبونه ولا يغلبهم ، فيقع الصلح بيننا وبينهم ، فإنها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندرى لمن يقع النجاة منها ؛ فإنه إن قتل الجنيد نزلت داهية فى الإسلام ، فإنه قطب الإيمان فى عصرنا ، وإن قتل العلماء والفقهاء فهى مصيبة عظيمة ، فقال له الأمير : لله درك ، لقد أصبت ؛ ثم عطف على الوليد وقال : افعل ما يقول لك القاضى ، فخرج الوليد وهو مقلد سيفه فوقف على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا قعودًا ناكسين رءوسهم وهم يذكرون الله ، فنادى فيهم : أفيكم من يقوم إلى السيف ؟ فقام إليه رجل يقال له أبو الحسن النورى ، فقال الوليد : ما رأيت طائراً أسرع منه ، فوثب قائماً بين يدىّ ،

فعجبت من سرعة قيامه ، فقلت : يا هذا أعلمت لم قمت ؟ فقال : نعم ، ألم تقل أفيكم من يقوم للسيف ، فقلت له : نعم ، فقال : ولم قمت ؟ قال : علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز وأن أوثر أصحابى علىّ بالعيش ولو ساعة ، ولعلى أقتل فيطفأ الشرُّ بى فيسلم جميعهم ولا يقتل أحد غيرى ، قال الصاحب : فعجبت من فصاحته ، فقلت : أجب القاضى ، فتغير لونه وسالت عبرته على خده ، فقال أو دعانى القاضى ؟ قلت : نعم دعاك ، قال : فحقًّا علىّ إجابته ؛ فدخلت وهو معى فأخبرت الملك والقاضى بقصته ، فتعجبا منه وسأله القاضى عن مسألة غمضة ، فقال : من أنت ؟ ولم خلقت ؟ وما أراد الله بخلقك ؟ وأين هو ربك منك ؟ فقال : ومن أنت الذى تسألنى ؟ فقال : أنا قاضى القضاة ، فقال له : إذًا لا رب غيرك ولا معبود سواك ، أنت قاضى القضاة ، وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى ، فأين النفخة فى الصور التى قال الله فيها :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰه ﴾[1] .

أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذى لم أشهد النفخ ؟ فبهت القاضى زماناً وقال : يا هذا أجعلت منى إلهًا ؟ قال معاذ الله بل أنت تألهت حيث تسميت بقاضى القضاة ، وليس قاضى القضاة إلا القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه ، أضاقت عليك الأسماء ؟ أما كفاك قاضى المسلمين أو أحد الفقهاء أم أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضى القضاة ، إذ استكبرت أن تقول أنا على بن أبى ثور ، فما زال يقرّعه حتى بكى القاضى وهم أن تزهق نفسه وبكى الملك لبكائه ، وبكى الجنيد ، فقال لتلميذه أقصر من عتابك للقاضى فقد قتلته فخل سبيله ، فلما أفاق القاضى . قال يا أبا الحسن أجبنى عن مسألتى وأنا أتوب إلى الله بين يديك ، فقال اذكر مسألتك فإنى نسيتها ، فأعاد عليه مسألته فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ؟ ثم قال : حسبى الله ، ثم فعل عن يساره مثل ذلك ، ثم نظر أمامه وقال أتجاوبه ؟ ثم قال : الحمد لله ثم رفع رأسه إلى القاضى

---

(١) الزمر : ٦٨ .

وقال له : أما قولك يرحمك الله من أنت فأنا عبد الله ، لقوله تعالى :

(إِنْ كُلُّ مَنْ فى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا)[١] .

وأما قولك لماذا خلقت ؟ فكان الله كنزاً لا يعرف فخلقنى لمعرفته . قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[٢] .

أى ليعرفون ، كذا قال ابن عباس وغيره . وأما قولك : ما أراد الله بخلقى ؟ فما أراد بى إلا كرامتى ، قال تعالى :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)[٣] .

وأما قولك : أين ربك منك ؟ فهو منى حيث أنا منه ، لقوله تعالى :

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) [٤] .

فقال : أخبرنى كيف هو معك ومعنا فى قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) قال : هو معنا كيفما كنا معه ، فإن كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى إليه ، وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة ، وإن كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة ، وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول ، وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب ، قال : صدقت ، فأخبرنى أين هو منى ؟ فقال : أخبرنى أين أنت منه ؟ أعلمك أين هو منك ، قال : صدقت يا على فيما قلت ، ولكن أخبرنى بمسألة ثانية ، قال : وما هى ؟ قال : لم ملت عن يمينك حين سألتك ؟ قال : أعز الله الفقيه إن المسألة التى سألتنى عنها لم يكن عندى فيها جواب لأننى ما سئلت فيها قط ولا سمعتها ، فلما سألتنى عنها لم يكن عندى ما أخبرك به فيها ، فسألت الملك الكريم الذى يكتب فى اليمين فقلت له أتجاوبه أنت ؟ فقال لى : لا علم لى ، فقلت : حسبى الله وفوضت أمرى إلى الله ، فقال : وعن شمالك ؟ فقال كذلك ، فقال وأمامك ؟ فقال : سألت قلبى ، فقال : عن سره عن ربه ، ما أجبتك به ، فقلت : الحمد لله شاكراً على الهداية ومقرًّا له بالعجز عن إدراك

---

(١) مريم : ٩٣ .
(٢) الذاريات : ٥٦ .
(٣) الإسراء : ٧٠ .
(٤) الحديد : ٤ .

النهاية ، فقال له : يا هذا أتكلمك الملائكة ؟ فقال له : ويحك أما ترى رب الملائكة كلمنى حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها . فقال له : يا هذا الآن قد صح عندى حمقك وثبت عندى كفرك وزندقتك فما تريد أن أفعل بك وبأى قتلة تريد أن أقتلك ؟ فقال له : وما الذى تريد أن تفعل بى وأنت قاضى القضاة ، إن كنت تقضى ولا يقضى عليك فاقض بما شئت ، وأى فعل لك ؟ فقال له : أنا القاضى المقتضى بما يقضى به أو نقضى بما يقضى به ؟ فقال له : أو فهمت خطاباً عن القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه . قال له : وما هو . قال قوله تعالى :

(فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[1].

فقال له : وما تريد أنت ؟ اقض بما شئت الآن ، طبت وطابت نفسى على لقاء ربى ، فعند ذلك رد القاضى رأسه إلى المتوكل وقال له : يا أمير المؤمنين اترك هؤلاء ، فإن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم ، هؤلاء مصابيح الدين ودعائم الإسلام ، وهؤلاء المؤمنون حقا ، عباد الله المخلصون ، فعند ذلك عطف الخليفة على الجنيد وقال : يا أبا القاسم هؤلاء الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك إلا ليقتلوك لو غلبوك ، والآن أنت الغالب عليهم ، وأنا آليت على نفسى إن أنت غلبتهم أن أمشى عليهم السيف ، فإما أن تعفو عنهم ، وإما أن يموتوا ، فقال : العياذ بالله ياسيدى أن يموت أحد منهم بسببى ، عفا الله عنا وعنهم ولا أخذ عليهم فى إنكارهم علينا ، لأنهم ما ساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم بما طلبوا ، عفا الله عنا وعنهم ، فانحل المجلس على سلام ، ولم يمت فيه أحد ، والحمد لله ، ثم عطف القاضى على النورى وقال له : يا على أعجبنى حالك والله شهيد أنى أحبك ، ولكن أسألك سؤال رجل مسترشد فارشدنى يرحمك الله ، فقال : سل عما بدا لك ، فإن كان عندى جواب أخبرتك وإلا قلت لك لا علم لى ولا يعظم ذلك علىّ ، ثم سأله عن مسائل عديدة قد تقدم بعضها عند قوله : يا عجباً كيف يظهر الوجود فى العدم ، فراجعها إن شئت وتركت الباقى لكثرة التصحيف فى النسخة التى

---

(١) يس : ٥٤ .

وقعت بأيدينا ، والله تعالى أعلم .

فهذه محنة الصوفية التى وقعت فى زمن الجنيد ، وهذه سنة الله فى أوليائه وأنبيائه ، هم أشد الناس بلاء . وانظر أيضًا قضية القطب الشهير شيخ أشياخنا الشيخ ابن مشيش ، فقد مات مقتولا كما هو معلوم ، وكذلك قضية تلميذه مع القاضى ابن البراء حيث أخرجه من تونس وكتب به إلى عامل مصر وعمل به بينة أنه مشوّش وأنه يطلب الملك ، فانتصر الله له كما هو شأنه سبحانه من انتصاره لأوليائه .

وكذلك قضية الغزوانى ، فإنه لما كملت تربيته وظهر رشده أرسله شيخه الشيخ التباع يعمر بلده ، فسكن بنى زكار جوار ضريح الشيخ ابن مشيش ، فلما عمر سوقه وانكبت عليه المخلوقات سُعِى به إلى السلطان المرينى ، فأرسل إليه الحرس وأطلعوه مكبلا إلى العرايش ، لأن السلطان كان ثم نازلا ثم أرسل به إلى فاس ، فسجن أربعة أشهر أو ستّة حتى قدم السلطان إلى فاس ، فأطلقه وشرط عليه السكنى معه بفاس فسكن معه ، فلما قرب انقراض مدة المرينيين خرج إلى مراكش وقال ذهبت دولة بنى مرين ، وبقى بمراكش حتى توفى رضى الله عنه .

وذكر التجيبى أن الشبلى رفع إلى السلطان ، وأخرج أبو زيد من مدينة بسطام مراراً وهذا أمر شهير .

قال بعض الحكماء : إذا أراد الله ظهور الحق جعل من خلقه من يعانده ويريد إخماده ، فيكون ذلك سبباً لظهوره وإيضاحه ، ولذلك سلط الله على كل نبى عدوًّا من المجرمين ، وعلى الأولياء كذلك ، وأنشدوا :

وَإِذَا أَرَادَ الله نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

وإنما أطلنا هنا النفس ، لأن الحال اقتضى هنا ذلك ، لأن وقت التأليف صادف عنفوان الجلال ، والله يرزقنا التأييد نحن وأحبّاءنا ومن تعلق بنا بجاه المصطفى وآله ، وعلامة التأييد هو حفظ التوحيد فى أوقات الشدة بحيث يكون إبراهيميًّا ، فإذا رمى فى نار الجلال وتعرض له الكون يقول له : ألك حاجة ؟

يقول له العارف : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى ، فحينئذ يقول الله لنار الجلال : (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا)[1] على وليى ، فينقلب حرها بردًا وسلاماً .

قال سيدنا إبراهيم الخليل : ما رأيت نعيماً قط مثل تلك الأيام التى كنت فيها فى النار .

قلت : وكذلك نار الجلال ليس يشبهها نعيم حين تنقلب بردًا وسلاماً ، برد الرضا وسلام التسليم ، فيكمل النعيم .

كيف تدفع كيد الشيطان ؟

واعلم أن إذاية الخلق هى إحدى القواطع التى قطعت الناس عن الولاية ، ولا يصبر عليها إلا الصديقون ، فذكر الشيخ حكمة ذلك وسره ، ومن القواطع أيضاً الشيطان والنفس ، فأشار الشيخ إلى كيفية دفع إذاية الشيطان بقوله :

[**إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده**] .

قلت : اعلم أن الحق تعالى جعل بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة ، فلا يدخل الحضرة حتى يخرق فيهم ويجوز عنهم ، لأنهم واقفون بالباب ، وكلهم الله بباب حضرته ، وقال لهم : لا تتركوا أحداً يدخل إلا من يغلبكم ، فوقفوا بالباب ، فإذا جاء من يريد الدخول تعرض له الخلق ، فيعيبون له الطريق ، وينكرون من يعرفها ، فإذا غلبهم جاءه الشيطان يطوّل عليه مدة الفتح ، ويخوّنه من الفقر ، ويقول له : متى يفتح الله عليك ؟ قيل يكون وقيل لا يكون ، فإذا غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له : كيف تترك دنياك وجاهك وعزك إلى شىء يكون أو لا يكون ، فإذا غلبها قال له الحق تعالى : مرحباً بك وأهلا ، ولكن القواطع لا يزول طمعها عنه حتى يسكن فى الحضرة ،

---

(١) الأنبياء : ٦٩ .

ولذلك قالوا : والله ما رجع من رجع إلا من الطريق . وأما من وَصَل فلا يرجع . وقال آخر : « والله ما يشكر خليع وإن ثَمِل وإن صخا ، حتى يقطع فى القطيع ، ويدور دور الرحى ، وإن ثبت يسر سريع ، وإن شرب حتى امتحى » .

فإذا علمت أيها الفقير أو الإنسان أن الشيطان لا يغفل عنك ساعة ، لأن له بيتاً فى صدرك من جهة شمالك ، فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس ، وإذا ذكرت الله انخنس . فإذا علمت ذلك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك وناصيته بيده ، وهو الحق تعالى ، فإذا شغلت بالله رده عنك وكفاك أمره . قال تعالى :

(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)[1] .

وقد حذر الله تعالى منه فى كتابه ، قال تعالى :

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)[2] .

ففهم قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربته ففاتهم محبة الحبيب ، وفهم قوم أن الشيطان لكم عدو وأنا لكم حبيب ، فاشتغلوا بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة العدو ، كما قال الشيخ أبو العباس .

وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه : عداوة العدو حقاً هى اشتغالك بمحبة الحبيب حقًّا ، فإذا اشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب ونال عدوك مراده منك .

وكتب الشعرانى إلى شيخ له بالمغرب يشكو له إذاية الخلق ، فكتب له الشيخ : لاتشتغل بمن يؤذيك قط ، واشتغل بالله يرده عنك ، وقد غلط فى هذا الأمر خلق كثير واشتغلوا بمن آذاهم ، فطال الأذى مع الإثم ، ولو أنهم رجعوا إلى الله لكفاهم أمرهم ولردهم عنهم والسلام ، هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ .

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه : وإنما يندفع الشيطان بالتوكل والإيمان ، قال تعالى :

---

(١) النساء : ٧٦ .

(٢) فاطر : ٦ .

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[١] .

وقيل : الشيطان كلب ، إن اشتغلت بمقاومته مزق الإهاب وقطع الثياب ، وإن رجعت إلى ربك صرفه عنك برفق .

وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه : إن كان هو يرانا من حيث لانراه ، فالله يراه من حيث لايرى الله ، فاستعن بالله عليه اهـ .

قلت : ومن عرف الله ذاب الشيطان من نوره فلم يبق يعرف إلا الله ، ولذلك قال بعضهم : نحن قوم لانعرف الشيطان ، قيل له : أو ليس قد ذكره الله فى كتابه ؟ قال : أجل ؛ ولكن اشتغلنا بالله فكفانا أمره حتى نسيناه ، وبالله التوفيق .

ثم ذكر حكمة وجوده فقال :

[جعله لك عدوًّا ليحوشك به إليه] .

قلت : لم يخلق الله شيئا عبثا ، قال تعالى :

(رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ)[٢] فإيجاد الشيطان له حكم :

أولها : انحياش عباده إليه لأن العبد الضعيف إذا رأى عدوًّا يطلبه هرب إلى سيده والتجأ إلى حصنه ، فيكفيه أمره .

الثانية : قيام الحجة على عباده ، فإذا خالفوا أمره قال لهم : اتبعتم عدوى وعصيتم أمرى . قال تعالى : (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)[٣] .

الثالثة : كونه منديلا للعار تمسح فيه أوساخ الأقدار ، وكذلك النفس والدنيا .

الرابعة : ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته ، فهذه حكم فى تسليط الشيطان على الإنسان :

---

(١) النحل : ٩٩ .
(٢) آل عمران : ١٩١ .
(٣) الأنعام : ١٤٩ .

(وَالله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ)[1] (وَهُوَ الْعَلِيم الْحَكِيمُ)[2] .

حكاية : روى أن الشيطان تعرض لسهل بن عبد الله التسترى وهو يضحك ، فقال له سهل : مّم ضحكك يالعين ، وقد أبلست ويئست من رحمة الله ؟ فقال : ياسهل أنا شىء والله تعالى يقول :

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كلَّ شَيْء) فقال سهل إنه يقول : (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)[3] .

فأين أنت من التقوى ؟ فقال : التقوى صفة العبد ، والرحمة صفة الرب وأين الفانى من الباقى ؟ فلم يجد سهل جوابًا .

قلت : وقد يجاب بأن هذه الشبهة مبنية على النظر للفرق : وأما على الجمع فالرحمة وصفه والتقوى فعله ، وفعله يقيد وصفه ، والكل منه وإليه :

(لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ)[4] .

حكمة ظهور النفس

ثم ذكر حكمة ظهور النفس فقال :

[**وحرك عليك النفس ليديم إقبالك عليه**] .

قلت : إنما حرك الحق تعالى عليك النفس ليدوم إقبالك وتوجهك إليه ، لأن النفس لما غلبت عليها البشرية جرتها إليها ، فهى دائمًا تهوى بك إلى أرض الشهوات ، وأنت دائمًا تريد أن تعرج إلى سماء الحقوق والواجبات . هى تريد أن تركن إلى أصلها من عالم الصلصال والطين ، وأنت تريد أن تردها إلى أصل روحانيتها فى أعلى عليين ، هى تريد السكون فى عالم الأشباح وأنت تريد أن ترقيها إلى عالم الأرواح ، فهى دائما تريد التسفل وأنت دائمًا تريد الترقى ، فهذا معنى دوام إقبالك عليه ، وسيأتى : لولا ميادين النفوس ماتحقق سير

---

(١) يوسف : ٢١ .
(٢) التحريم : ٢ .
(٣) الأعراف : ١٥٦ .
(٤) الأنبياء : ٢٣ .

السائرين ، فالنفس والشيطان نعمتان فى الباطن ، إذ لولاهما ماتحركت إليه ولا تحقق سيرك إليه ، ولذلك كان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه إذا اشتكى إليه أحد بالنفس يقول : أما أنا فجزى الله عنى نفسى خيرًا ماعلىَّ إلا فضل الله وفضلها ، والله ماننسى جميلها ، يشير لهذا المعنى الذى ذكرناه ، وهما نقمتان فى الظاهر لمن وقف معهما وحجب بهما .

والحاصل : أن النفس والشيطان والدنيا والناس ، قواطع لمن قطعوا به الطريق ، موصلات للحضرة لمن وقف للتحقيق ، وسبق له من الله التوفيق ، والنفس أصعب من الشيطان ، لأنه عدو متصل وأنت به شفيق ، فهى أقبح من سبعين شيطانًا فى قطع الطريق .

وذكر ابن القسطلانى عن أحمد بن سهل رحمه الله أنه قال : أعداؤك أربعة : أولها : الدنيا ، وسلاحها لقاء الخلق ، وسجنها الخلوة . الثانى : الهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت . الثالث : الشيطان ، وسلاحه الشبع ، وسجنه الجوع . الرابع : النفس ، وسلاحها النوم ، وسجنها السهر ، وقد نظم بعضهم هذه القواطع فقال :

إِنِّى بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ يَرْمِينَنِى
بِالنَّبْلِ عَنْ قَوْسٍ لَهُ تَوْتِيرُ
إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسى وَالْهَوَى
يَارَبِّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

وقد ذكر هذه القواطع الشيخ ، فذكر أولا الدنيا ، ثم الناس ، ثم الشيطان ، ثم النفس لكن ذكرها على وجه توحيدى لم يذكرها على أنها سِوَى أو قواطع ؟ وإنما ذكر أسرارها وحكمة وجودها ، فلله دره ما أشد معرفته بالتوحيد وأسرار التفريد ، نفعنا الله بذكره وخرطنا فى سلكه آمين . وهذا آخر الباب الرابع والعشرين .

وحاصلها : ذكر غاية النعيم ، وهو شهود نور وجه الكريم ، فمن تحقق به فلا تعتريه أحزان ولاهموم . ثم ذكر القواطع التى تقطع عنه وهى الدنيا ، وما

يتعلق بها من رياسة وعلم غير نافع وجاه وغيره ، والخلق ومايتعلق بإذايتهم ، والشيطان والنفس ، لكن ذكرهم على وجه التحقيق لاعلى وجه التشريع . فإذا تخلص من هذه القواطع فى الحس أفضى إلى شهود نور عظمة ربه فى تجلياته ، فيتواضع مع الأشياء كلها لمعرفته فيها كما أشار إلى ذلك فى الباب الخامس والعشرين بقوله رضى الله عنه :

obeikandl.com